

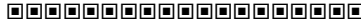
## الفقه المالكي في الجزائر درسا وتأييفا بين التقوقع والانفتاح *Fiqh al-Maliki in Algeria: instruction and synthesizes between isolationism and openness*

بقلم

أ. د. محمد خالد اسطنبولي \*

جامعة أدرار - الجزائر

[elmesseri@maktoob.com](mailto:elmesseri@maktoob.com)



### ملخص

يعالج هذا المقال عدة انشغالات تتعلق بالدرس الفقهي المالكي في الجزائر وما يشهده من تحديات حيث تطرق إلى المالكية ومفهوم السنة، وإلى تعدد الروايات والأقوال في المذهب المالكي، وكذا المسلم المعاصر بين أزمة منهجية الفكر والتخلف الفقهي. ثم بين بعض أوجه القطيعة بين الفقه وعلوم العصر، وركز على دور علماء الإسلام في الوقت الراهن بين التقليد والانفتاح، كذا الفقه المالكي بين المناصرة والتعصب.

الكلمات المفتاحية: المالكية؛ الجزائر؛ التقليد؛ التعصب؛ الانفتاح؛ المنهج.

### Abstract

This article addresses several concerns related to the Maliki jurisprudence lesson in Algeria, as it touched upon the Maliki and the concept of the Sunnah, and the multiplicity of narrations and sayings in the Maliki school of thought, as well as the contemporary Muslim between the crisis of methodology of thought and the backwardness of jurisprudence. Then, the search explains some aspects between the Fiqh and the science of the times, It focuses on the role of the scholars of Islam at the present time between tradition and openness, as well as Fiqh al-Maliki between advocacy and intolerance.

**Keywords:** Malika; Algeria; tradition; Intolerance; openness; Curriculum.

\* المؤلف المراسل.

### مقدمة

في هذه المداخلة سأحاول أن أبرز ملاحظات وهموم مهتم بالفقه وبأصوله وبعلماء الجزائر مع أنني لست بفقيه.

أعلم أن المذهب المالكي متعدد المدارس، كل مدرسة لها منهجها وخصائصها وعلماؤها وفتاؤها، ولهذا أجد أن المذهب المالكي فيه ثراء وتنوع رأي فقد نجد في المسألة الواحدة آراء كثيرة وكأنك تخوض في الفقه المقارن، فلماذا لا نستثمر في الجزائر كل الفقه المالكي بمدارسه المتنوعة، وحتى مع باقي المذاهب الفقهية الأخرى. ولماذا لا نعتد الدراسات التحقيقية والتحقق في كثير من القضايا التي مازلتنا نفتي بمنهجية القرن السادس الهجري، ألا نلاحظ أن الكتابات الفقهية الجزائرية القديمة منها بل وحتى المعاصرة مازالت عباراتها غامضة وأسلوبها مستعصي، لماذا في مجال التحقيق للتراث الجزائري ما تزال البضاعة مزجاة. حتى في الجامعات الحديثة ألاحظ أن كثير من الموضوعات هي موضوعات قديمة عولجت بمنهج قديم، فنحتاج اليوم إلى تحديث وعصرنة الآلية والأسلوب والمنهج.

لقد تكلم علمائنا عن الرحلة لطلب العلم وعن أهميتها، وإنما مصدر لتلاقح الأفكار والتجارب والخبرات لكي نطلع على ما عند غيرنا. وإذا أتينا إلى موضوع الاستدلال خاصة بالسنة وهي الأصل الثاني فنجد أحيانا أن المالكية قد يردون الصحيح وفي أخرى قد يأخذون بالضعيف. فيما ترى ما هو منهجهم في ذلك ؟ وفي الأخير أختتم بكلام الأستاذ أبو شقة وهو يتكلم عن هذه الأمة التي لازالت تستهلك هذا التراث بالمتن والحواشي من غير تجديد ولا اجتهاد، هذه التساؤلات من طالب علم أحاول أن أقدم لها بعض الأجوبة المنهجية والله من وراء القصد.

**المالكية ومفهوم السنة :**

وردت السنة في معاجم اللغة بمعنى السيرة والطريقة والمثال المتبع.....<sup>1</sup>  
وتطلق السنة في العرف الشرعي العام على ما هو اعم من المنقول عن النبي ﷺ أو عن السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المقتدى بهم

يشهد لذلك حديث العرياض بن سارية: " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين<sup>2</sup>.

وحديث مسلم عن النبي رضي الله عنه قال: "جلد النبي ﷺ أربعين وجلد أبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة."

وهذا يعني انه تعورف عندهم في الصدر الأول إطلاق السنة على الطريق المسلوكة في الدين سواء كانت فعل النبي ﷺ أو فعل واحد من الصحابة وقد نبه الشاطبي إطلاق السنة على ما عمل عليه الصحابة بكونه إتباعا لسنة تثبت عندهم لم تنقل إلينا أو اجتهدا مجمعا عليه منهم، أو من خلفائهم فان إجماعهم إجماع.... ويتحصل مما تقدم أن للسنة في الإطلاق أربعة أوجه :

1- قوله عليه الصلاة والسلام.

2- فعله عليه الصلاة والسلام

3- تقريره عليه الصلاة والسلام

4- ما جاء عن الخلفاء أو الصحابة عموما.<sup>3</sup>

ويبين أبو زهرة أن ما يميز الإمام مالك في فهمه للسنة انه عمم لفظ ( السنة ) ليشمل بالإضافة إلى السنة المرفوعة - المتمثلة في الأحاديث الصحيحة سواء كانت متواترة أو خبر آحاد - ما يمكن تسميته بالسنة الأثرية، وهي فتاوى الصحابة وأقيستهم وعمل أهل المدينة وأعرافهم.<sup>4</sup>

من خلال هذه النصوص نلاحظ مرونة الإمام مالك ولا أدل على ذلك من كتابه الموطأ الذي حوى من السنة المرفوعة حوالي 600 حديث والباقي ويزيد عن الألف هي فتاوى وأقوال لصحابه وتابعين ولعمل أهل المدينة، وحتى بعض اجتهاداته الفقهية فهذا عصر الإمام مالك فما بالوا أتباعه رغم أكثرتهم بأرائهم ومروياتهم وأقوالهم بل ومدارسهم، ثم في النهاية يحجرون على الفقه الواسع برواية ابن القاسم وتعميمها على بعض الأقطار.

### تعدد الروايات والأقوال في المذهب المالكي:

لقد اتسعت دائرة التنوع الفقهي داخل المذهب المالكي وتنوعت الروايات والأقوال حسب ورود القضايا والمستجدات والنوازل وقد نبه إلى هذه المسألة الهامة د. خالد ملاوي في بحثه المشهور في المذهب المالكي قائلا: "... يعتبر المذهب المالكي أوسع المذاهب دائرة في الروايات و الأقوال، وقد شكل الخلاف الفقهي فيه عاملا مهما في نموه وتطوره وازدهاره وهو أمر طبيعي في مذهب متجدد يراعي مصالح الناس وأعرافهم.<sup>5</sup> ونفس القضية نبه إليها د. عبد السلام العسري "... إن تعدد الأقوال أمر لا بد منه في كل مذهب حي متجدد يراعي مصالح الناس وأعرافهم المختلفة... لما جاء عصر التلاميذ اختلفوا في استنباطهم اختلافا كثيرا وأضيفت أقوالهم التي لم يعرف لملك رأي فيها إلى المذهب، بل أضيفت بعض الأقوال التي خالفوا بها شيخهم.... ولما جاء عصر المخرجين كان لا بد أن تختلف نتائجهم في تخريجهم في المذهب، فكان لا بد أن يختلفوا في أقيستهم على المسائل المنصوص عليها وأن يختلفوا في إدراك وجوه المصالح التي أفتوا على أساسها، وأن تختلف المصالح باختلاف الأشخاص والجماعات والبيئات والأعراف وخصوصا إنهم كانوا في أقاليم مختلفة فمنهم مديون ومنهم مصريون، ومنهم مغاربة، ومنهم عراقيون، ولكل بيئة وعرف، فكان هذا الاختلاف مع اتحاد الأصول سببا في كثرة الأقوال.<sup>6</sup>

أرى أن هذه الثروة العائلة داخل المذهب الواحد هي في أصلها، مذاهب متنوعة داخل مذهب واحد فما بالننا، لو أضفنا المدارس الأخرى وفعلناها لوصلنا إلى تراث ضخم نفاخر به، وما باقي المذاهب الفقهية إلا تأثير وتأثر. ألم يكن الشافعي تلميذا لملك، وأحمد تلميذ للشافعي، ولهذا تخصص أهل بلد بمذهب هذا جيد للإثراء والمحافظة والوحدة، ولكن في ناحية الفتوى والنوازل والمستجدات، فيجب أن نستنفر جميع المدارس الفقهية للاستئناس مع الرجوع إلى الأصليين أولا الكتاب والسنة، ثم فهوم العلماء.

### المسلم المعاصر بين أزمة منهجية الفكر والتخلف الفقهي :

في الهموم الجزئية أحاول أن أركز على قضية أساسية تعيشها الأمة الإسلامية وهي في الحقيقة ليست تهمة، ولكنها واقعا مرا، ولقد عرفها مبكرا الأستاذ أبو شقة وكتب عنها.<sup>7</sup> قال : وإذا كبل هذا العقل وسلب حرّيته فلا بد من تحريره وإطلاقه من كل ما يعرقل قيامه بدوره... والدين جاء يحرر العقل من الأغلال، ولكن وريثة الدين قد يحجرون على العقل ويذلونه بما يلي:

بتطبيق نطاق عمله وحصره في حفظ المتون أو بإهمال تغذيته بما ينفع، فلا نظرو ولا بحث علمي رشيد، ولا دراسة لرأي المخالفين، وكذا تقديس السابقين.. وهذا الانحطاط بدأ في عالم المسلمين في القرن 5 هـ وأهم مظاهره، الجمود الفكري والتقليد المذهبي، تعليقات واختصارات وحواشي.. نبذ علوم العصر و القطيعة معها، ثم يتعرض أبو شقة لمفهوم التراث قائلا : ماذا يعني التراث ؟ نقصد بالتراث هنا ما أنشأه الأسلاف بعقولهم، أما الهدي الإلهي من قرآن وسنة فهو هادي الأسلاف فيما أنشأوا وهو هادينا نحن فيما نرجو وننشئ، ويلحظ القارئ أننا نقصر حديثنا على مجال واحد من مجالات التراث وهو المجال الديني رغم شمول التراث لمجالات عديدة.

ونعرض إلى جزئية أخرى قائلا وقد أنتج الانحطاط في عالمنا الإسلامي مجموعة من الظواهر الخطيرة في سياق التقليد منها نبذوا احتقار علماء العصر، وعلوم العصر، بل ومشكلات العصر أيضا.<sup>8</sup> هذه بعض الهموم التي اقتنصتها من كتابه وهي كثيرة ملخصها أن أزمة العقل المسلم المعاصر هي أزمة فكرية فإذا ما فاق الفكر من هذا التخدير الطويل عساه يتلمس الطريق إن شاء.

### القطيعة بين الفقه وعلوم العصر:<sup>9</sup>

سبق أن نوهت ونهت أن الأمة الإسلامية حصلت لها مقاطعة وقطيعة لكل ما هو غير شرعي أي غير داخل في العلوم الشرعية. علما بأن هذه العلوم أضحت علوما علمية مفيدة وفعالة لا جنسية لها ولا دين، إذ من الواجب التفتح عليها و الاستفادة منها كالعلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية والتربوية والمنهجية وها هو

فريد الأنصاري يقول لعل من أصعب الأزمات التي تعاني منها الأمة اليوم هي غياب العقل المنهجي أو التفكير الناهج، وإعادة تشكيل العقل المسلم الذي ننادي به اليوم، إنما هي إعادة نهج له من جديد، إن الارتجال والتلقائية غير الواعية في معالجة شؤون الحياة دليل قاطع على غياب الممارسة المنهجية...<sup>10</sup>

إن الحضارة الحديثة أضحت حضارة العالم لا حضارة أمة بعينها، وإن أمم العالم بأسرها تسهم في إعداد هذه الحضارة وتطويرها.<sup>11</sup>

إن سنة التعارف بين بني الإنسان واجبة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾. إن التعارف هو التقاء الحضارات في قواسم مشتركة من غير ذوبان، يقول مالك بن نبي: والنهضة الإسلامية تبدو وكأنها تريد أن تتخلص من فوضاها، وهي تتطلع منذ عهد قريب إلى النظام والتنظيم... لكن هذا يقتضي معرفة متعمقة للإنسان وإمكانياته ونقائصه، وتقصيا واعيا للقيم الاجتماعية في الإسلام، فعلم النفس وعلم الاجتماع ضروريان إذن للكشف عن القيم الجديدة في النهضة الإسلامية... وعليه لكي نعرف الإنسان ينبغي علينا أن نعرف أنفسنا.<sup>12</sup>

يجب علينا أن نعرف ونوقن بأننا نحن جزء من كل ولسنا وحدنا في هذا الوجود ويجب على عملية التفاعل أن تقوم بدورها. أليس من العجب أن في القرن 21م ونجد أن عدد الراقين والمشعوذين قد عمت بهم البلوى وأطباء النفس والاجتماع لا تكاد تجدهم وهم في عزلة من المجتمع.

في الإرشاد الأسري هناك متخصصون في الغرب لهذا الشأن يشترك فيه النفسي والعالم الاجتماعي وعالم التربية، وعالم التنمية البشرية ليحل معضلات الأمة - أمتهم - أما عندنا والحمد لله، الإمام هو الكفيل بهذه العملية، وكم في الدنيا من مظالم قمعوا باسم الدين والنخوة والرجولة.

## علماء الإسلام بين التقليد والانفتاح:

إن الأمر الذي ألاحظه ومقتنع به ولا أفرضه على احد هو أن أمتنا في غالبيتها، والجزائر على الخصوص مازالت تعيش تاريخ التراث الإسلامي، بل حتى جزء كبير من تراثنا ما يزال مخطوطا، فرغم هذا كله، فأغلب تراثنا الآن هو متون وحواشي ومختصرات، كل هذا لا نقلل من شأنه، ولكن أن نفتخر به وننام في سبات عميق نومة دامت قرون، لو تتبعنا المذاهب الإسلامية عموما، والمذهب المالكي على الخصوص للاطلاعنا للتطور التي مر به، أولا في العصر النبوي، وهو أفضل عصر على الإطلاق، بل وأفضل جيل جيل الصحابة الذين تربوا في مدرسة النبي ﷺ، الذي كان خلقه القرآن بل كان قرآنا يمشي فوق الأرض، هذا الجيل صار على الاقتداء بمحمد ﷺ وبسننه بل وسيرته بعد وفاته، هكذا كان الجيل الأول وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وترك جيلا اسمه الصحابة و التابعين، هذا الجيل واصل مسيرته معتمدا الأصليين الكتاب و السنة وفهوم الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار، وبدأت تنوع فتاويهم حسب البيئات التي يعيشون فيها، ولا أدل على ذلك من اجتهادات عمر رضي الله عنه في قضايا كثيرة، ونلاحظ أن كل عصر بعد القرن الأول كان يعيش زمانه ومستجداته وله اجتهادات وبعدها شيئا فشيئا بدا الالتفاف لكتابة المتون بل أقول الفهوم ولكن منفصلة عن الأصول، ثم اختصرت هذه المتون، فأصبحت مختصرات ثم وصلنا إلى وقت احتاجت هذه المختصرات إلى هوامش وحواشي وهكذا إلى يومنا هذا و الحمد لله، وانقل الآن بعض الجهود المشكورة في عملية الشروح والحواشي على مختصرات معينة نقلا عن الأستاذ زهير قزان في بحث قدمه في ملتقى قائلا إذا أدرك العالم قيمة كتاب من الكتب المتداولة، و أدرك عجز الطلبة عن فهم مسأله فقد قام فقهاء توات بشرح بعض مختصرات المذهب المالكي أهمها :

1- مغني النبيل شرح مختصر خليل: للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، لم يكمله.

- 2- إكليل المغني : للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وهو حاشية على شرح مغني النبيل.
- 3- شرح مختصر خليل لعبد الكريم بن محمد بن أبي محمد التواتي.
- 4- تقييد على مختصر خليل للشيخ عمر بن القادر التنيلاني.
- 5- شرح مختصر خليل للشيخ عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري.
- 6- حاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل للجنتوري نفسه.
- 7- الوجيز شرح مختصر خليل للزجلوي.
- 8- شرح التلمسانية للزجلوي.
- 9- شرح ابن عاشر للزجلوي.
- 10- حاشية على شرح ابن عاشر لمحمد بن عمر الغلاوي الشنقيطي : وضعها احمد ابن عبد الرحمان الشيخ الأنصاري الانزجميري والقائمة مازالت طويلة ويعلق الأستاذ زهير في نتائج بحثه أن ظاهرة الاختصار في المذهب المالكي لا يمكن عدّها ظاهرة سلبية على الإطلاق بل هي بمثابة النصوص القانونية اليوم... ويمثل مختصر خليل قمة تطور المذهب المالكي ووصوله إلى ذروة الرقي...<sup>13</sup>
- أعلق على هذا النص العلمي ملاحظا ما يأتي:
- أنا أقول بان علماء الزوايا و الكتاتيب و المدارس قد قاموا بواجبهم ولهم أجرهم عند ربهم لكني ألا حظ أننا نعيش تقديسا لتراث يجب أن نفيد منه ولكن أن نتخذه نبراسا في الفقه المالكي فهذا عين الخطأ فقد نعتبره كما قال قزان بمثابة نصوص قانونية، أما كتاب دارسي منهجي فلا إلا لمن أراد أن يحفظه حتى لا ينسى العلم، وإلا أن الأوان أن ندرس الشريعة كما نزلت كتاب وسنة أولا ثم فهوما ثانياة. فقه أحكام مع فقه تربية مع فقه توجيه مع زاد روجي أما تجريد العلوم هكذا فلا.
- آن الأوان للجامعات أن تتبنى مشاريع موسوعات علمية مذهبية وعالمية رايتها الدليل و التوجيه.

وهنا أنقل شهادة أستاذ فاضل وهو يصف شيخه وشيخنا العالم الرباني الجليل سيدي محمد بن الكبير بقوله : عرف شيخنا شدة تمسكه بالمذهب المالكي... وذكر بعض فتاويه منها.

أ- إفتاؤه بجواز الإحرام في الحج و العمرة من جدة، دفعا للمشقة المترتبة عن الذهاب إلى الميقات التي دلت نصوص الشريعة على وجوب دفعها، قال تعالى: ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾.

ب- القول بجواز تأخير صلاة المغرب بعد الغروب، وكذا صلاة الصبح إلى الإسفار البين وفق ما جرى به العمل في الإقليم التواتي، وان كان مخالفاً لمشهور مذهب مالك، وذلك ان أهل توات كانوا فقراء لا يوجد عندهم كهرباء وشوارعهم ضيقة ومظلمة ودفعا للمشقة و العسر عنهم يؤخرون صلاة الصبح حتى الإسفار، فيظهر الضوء في الأزقة ولفائدة أخرى فهم كانوا يمكثون في المسجد بعد صلاة الصبح في الذكر وتلاوة القرآن إلى طلوع الشمس وصلاة الضحى وحتى لا يصيبهم الملل لطول الوقت. وأخروا صلاة المغرب، وعضدوا ذلك بما جاء في الموطأ، وقال مالك الشفق الحمرة التي في المغرب فإذا ذهب الحمرة فقد وجبت صلاة العشاء وخرجت من وقت المغرب، وقوله ظاهر في امتداد وقت صلاة المغرب إلى غروب الشفق وهو مذهب إسحاق وأبي ثور والأوزاعي وأصحاب الرأي.

قال الباجي : وروي عنه في الموطأ ا ناخر وقت المغرب إذا غاب الشفق وروى عنه في المدونة ما يقتضي ذلك، و به قال أبو حنيفة... و الدليل ان آخر وقتها مغيب الشفق ما روي عن مسلم في حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال "وقت المغرب ما لم يسقط نور الشفق " وقد شهر هذا القول ابن العربي في أحكام القرآن وصححه في العارضة واختاره ابن عبد البر و المازري، وابن رشد واللخمي وغيرهم.

وأما صلاة الصبح فاستدلوا على تأخيرها ما روي في الموطأ جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن وقت صلاة الصبح قال فسكت عنه رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد صلى الصبح حين طلع الفجر ثم صلى من الغد

بعد أن أسفر ثم قال أين السائل عن وقت الصلاة، قال: ها أنا ذا يا رسول الله فقال ما بين هذين وقت.<sup>14</sup>

إذا تمعنا هذا النص نلاحظ أن العلامة الإمام بل كبير كان عالما ربانيا مرنا ففتواه في الإحرام من جدة قد سبقت زمانه لأن أغلب علماء العصر على الإحرام من الميقات، ثم فتواه في تأخير المغرب و الصبح، وكذا الظهر، ولم يتكلم عنها – التلميذ الأستاذ – فأقول أن هذه مرونة كبيرة في الشيخ ان يخرج عن التقليد الحرفي ويسبح في المذهب بأرائه المنوعة بل يخرج عن المذهب أخذاً من مذاهب أخرى هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى هل وصل التلاميذ إلى مرونة الشيخ والخروج من المذهب ؟ ثم سؤال آخر يطرح نفسه. الوضع تغير في تواتر فدخلت الكهرباء ووسعت الطرقات، فهل بقي مبرر لتأخير هذه الصلوات الثلاث إلا إذا كان الأمر من باب التنوع كما عند الأحناف أول الوقت وآخره، ودراسته هذا النموذج بعلمنا أن نستفيد من كل مدارس الفقه المالكي بل باقي المذاهب الفقهية العالمية.

#### الفقه المالكي بين المناصرة والتعصب: 15

هناك فرق بين المناصرة والعلمية للمذهب و التعصب المذموم له مقتفيا أثر شمس الدين الراعي الأندلسي (853هـ) وغيره من الأعلام الذين أوضحوا الفرق الشاسع بين مناصرة محمودة لها اثر في إثراء المذهب والذب عنه، وبين تعصب مذموم يلوي أصحابه أعناق الأدلة لتؤيد ما اختاروه وذهبوا إليه.<sup>16</sup>

رغم أني أؤمن بالفقه العالي. أي عالمية الفقه. ولعلكم تعجبون من المصطلح. وهذا الفقه المالكي على سبيل المثال قد تنوعت مصادره، ودرسه الأصولي قد أخذ بعدا فكريا راميا وليس أدل على ذلك من كثرة وتنوع مدارسه الفقهي وتعدد الروايات والأقوال.

فالتمذهب كطريق تربوي وحدوي دون شك يحافظ على تماسك الأمة ووحديتها وخدمة المذهب وتطويره، ومع هذا فان المثقف و الواعي وعالم العصر عندما ينظر إلى الفقه ككل بكل مذاهبه ومدارسه يرى أن هذه الثروة العملاقة

يجب أن تستغل في هذا العصر التي جدت فيها نوازل وقضايا كثيرة بكثرة ما أحدثنا من ذنوب ومعاصي، ولهذا البحث عن الحلول لقضايا الناس أولى من تركهم يلهثون وراء سراب لا نهاية له.

ولهذا الانتصار على مذهب بل التعصب المقيت لا يخدم قضيتنا وقد نبه محمد المختار المامي إلى هذه المسألة باختصار - ظهرت كوكبة من العلماء اتجهت إلى جمع المذهب فروعاً وقواعد ومنها ابن الحاجب 646 هـ صاحب المختصرين.

والقرافي 684 صاحب الذخيرة، وخليل 767 هـ صاحب المختصر ولكن هؤلاء في طريقة جمعهم اتجهوا إلى الاختصار واعتماد آراء معينة في الفقه واعتبارها هي المذهب مما حدا بكثيرين إلى اعتبار ذلك قتلاً للفقه كالإمام ابن عرفة 803 هـ الذي ألف مختصره الفقهي كردة فعل على صنيع ابن الحاجب وخليل. وقد لاحظ خاتمة المحققين في هذه المدرسة أبو إسحاق الشاطبي 790 هـ ما لاحظته معاصره ابن عرفة من توقف سير الفقه عن تلك المختصرات التي تقتصر على رأي واحد، وهذا ما جعله يؤلف كتابه الموافقات، وهذه الدعوة سبقت صيحاتها أيام ابن عبد البر 463 هـ وابن العربي 543 هـ وابن رشيد الحفيد 595 هـ وذلك باتجاههم إلى دراسة الفقه دراسة مقارنة تخرجه من المقارنة بين آراء علماء المذهب إلى المقارنة بين آراء أئمتهم وآراء غيرهم من الأئمة الآخرين واختيار الصالح منها تبعاً لقوة دليله ولكن هذه الصيحة كما أميتت في أيامها، فإنها كذلك لم تلق اهتماماً كبيراً بعد الإمام الشاطبي بل اختار الناس المختصرات وركنوا إليها حفظاً وشرحاً وتخریجاً لا يعدلون عنها حتى قال اللقاني 958 هـ نحن ناس خليليون إن ضل ضللنا.<sup>17</sup>

وبقيت مسألة أريد أن أنبه عليها وهي خطورة منهجيا وعلميا أننا مازلنا في فقهننا بأمثلة عافها الزمن، العبد والأمة والمد والصاع وفي فرض الكفاية تخشبنا بمثال صلاة الجنائز، فهذا محض التخلف ويجب علينا أن نقف كجامعين أمام هذا التخلف ونقوم بدراسات منهجية متعمقة وهادفة والله الهادي إلى سواء السبيل وهو من وراء القصد وصلى الله على سيدنا محمد.

## -الهوامش:-

- 1- ينظر لسان العرب (13 / 223).
- المصباح المنير ص 111.
- 2- الترمذي 2672. وقال حسن صحيح.
- أبو داود 4607 وابن ماجه 42 والحاكم وصححه 329.
- 3- منهج الاستدلال بالسنة في المذهب المالكي تأسيس وتأصيل مولاي الحسن بن الحسن الحبات ط 1 - 1224 هـ 2003 م، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي (93/1 - 96) الموافقات (4 / 3 / 4)...
- 4- تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة (213/2).
- 5- بحث مصطلح المشهور في المذهب المالكي، دراسة نقدية د. خالد ملاوي، جامعة أدرار، نشر بمجلة الصراط، ص 1.
- 6- نظرية الأخذ بما جرى به العمل في المغرب في إطار المذهب المالكي، الأستاذ عبد السلام العسري، ط 1996 م ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ص 25 - 26.
- 7- كتب الأستاذ عبد الحليم أبو شقة، لمحات ومحطات في نقد العقل المسلم، من أحسن ما كتب في العصر الحديث وسأحاول أن أورد مقاطع من هذه المذكرة.
- 8- ينظر كتاب نقد العقل المسلم الأزمة و المخرج، عبد الحليم أبو شقة، تقديم د/ محمد عمارة، ص 4، 5، 14.
- 9- قدمت بحثا للملتقى في جامعة الأمير بعنوان انفتاح العلوم الشرعية على علوم العصرين الضرورة والتوقوع.
- 10- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، أ د فريد الأنصاري، ط 1 2002، دار الكلمة، مصر، ص 21، بتصريف.
- 11- أزمة العقل، ص 6.
- 12- وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 201، ص 153 / 154 بتصريف.
- 13- مختصرات الفقه المالكي وجهود علماء توات في خدمتها، زهير بن عبد الرحمن فزان بحث قيم قدم للملتقى الوطني الأول الشيخ بل الكبير تحت عنوان المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة... ص 12.. بتصريف.
- 14- الفتوى عند الشيخ بل كبير للأستاذ الشيخ عبد الحق بكر اوي بحث قدم للملتقى الوطني الأول الشيخ سيدي محمد بن الكبير - المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة في ترسيخه ونشره ص 10.
- 15- هذه العبارة، أبي الأحناف في تقديم لكتاب الاستدلال بالنسبة، ص 14.
- 16- منهج الاستدلال بالسنة (12/1).
- 17- المذهب المالكي، مدارسه، مؤلفاته خصائصه سماته، محمد المختار، محمد المامي، رسالة ماجستير ص 68. 69. نقلا عن أعلام الفكر 67. 75، وينظر الديباج 202 - 204.